السهم الأزرق

محمود سالم

السهم الأزرق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

السهم الأزرق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٦٦٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
«كاجان» يصرخ: «أربعة ملايين دولار!»	١١
فيلم خاص عن «سهم»!	١٧
أخيرًا ... هذه مزرعة «كاجان»!	٢٣
مهمة في المزرعة السرية!	٢٩
أخيرًا ... ظهر «سهم»!	٣٥
المعركة الحاسمة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

«كاجان» يصرخ: «أربعة ملايين دولار!»

ابتسم «أحمد» وهو يتلقَّى رسالة رقم «صفر» التي يقول فيها: أُهنئكم، وأتمنَّى لكم إجازة طيبة؛ فهو يَعرِف أنَّ الإجازة الحقيقية للشياطين أن يقوموا بمغامرة. أما الأيام التي يَجلسون فيها في المقر السري فهي أيام قاتِلة، وهم كثيرًا ما يُردِّدون ذلك. فهم في المركز، إما أن يقوموا بتدريبات الرماية، أو يُمارسون ركوب الخيل أو السباحة أو الكاراتيه أو غيرها، وإما يقضُون وقتهم في القراءة. ورغم أنَّ كلها رياضات جيدة، إلا أنَّ حب المغامرة عندهم لا يُعادله شيء. كان سبب ابتسام «أحمد» أنَّه يعرف أنَّ الشياطين يخرجون من مغامرة ليدخلوا أخرى، وهم نادرًا ما يقضون إجازة، سواء في المقر السري أو خارجه. وذلك ما كاد ينقضي يوم، حتى كانت رسالة جديدة تصل إليهم تقول: «الاجتماع غدًا في العاشرة صباحًا.»

ابتسم «أحمد» مرةً أخرى؛ فهذه مسألة تتكرَّر كثيرًا. ما إن تصلهم رسالة تتمنَّى لهم إجازة، حتى تلحقها رسالة أخرى تدعوهم للاجتماع. غير أن ابتسامة «أحمد» لم تكن لذلك فقط. لقد كانت أيضًا من أجل المغامرة الجديدة التي سوف يَرحلُون من أجلها؛ فهذه هي الإجازة كما يعرفون. وعندما دقَّت الساعة العاشرة في المقر السري، كان الشياطين يجلسون في أماكنهم في القاعة الصغرى. ربما تكون هذه هي المرة الأولى أو الثانية، التي يُعقد فيها اجتماع في القاعة الصغرى؛ ذلك لأن القاعة الكبرى، كانت هي دائمًا مكان الاجتماع، لكنَّها الآن تُجهَّز تجهيزًا جديدًا، لتضم أحدث أجهزة الاتصال في العالم، ربما بما لا يَخطر على بال أحد.

وهذه كانت واحدة من الأشياء التي تشغل بال «أحمد»؛ فقد كان يتمنَّى أن تنتهي التجهيزات بسرعة، حتى يرى تلك الأجهزة الحديثة التي تُجهز بها القاعة. كانت القاعة

الصُّغرى، تضمُّ ثلاثة عشر مقعدًا، كعدد الشياطين، لها نفس الخريطة الإليكترونية، وأجهزة اتصال داخلية فقط، بجوار أنَّها كانت ضد التصنُّت والحريق، فلا يستطيع أحد أن يضع فيها جهازًا لتسجيل ما يدور داخلها؛ لأنَّه ينكشف فورًا، ولا يُمكن لأحد أن يشعل فيها نارًا، أو يفجرها؛ لأنَّها مجهزة ضد كل هذا.

في العاشرة ودقيقة كانت أقدام رقم «صفر» تتردَّد، وهي تعلو شيئًا فشيئًا، حتى توقفت. ثم جاء صوت رقم «صفر» يُرحِّب بهم. سكت لحظة، ثم قال: إنَّ مغامرتنا الجديدة، فيها الكثير من المتعة الحقيقية. وأنا أعرف أنكم سوف تستمتعون بها تمامًا.

تردد صوت خافت، قطع استرسال رقم «صفر» في الحديث فقال: هناك رسالة من أحد عملائنا.

ثم أخذ صوت أقدامه يبتعد حتى تلاشى نهائيًّا. في نفس الوقت، كانت الخريطة الإلكترونية قد أضيئت، وظهرت إسبانيا. نظر الشياطين إلى بعضهم. وقال «قيس»: إننا لم نَبعُد كثيرًا؛ فالجو العربي موجود في إسبانيا. إنَّها بلا شك مُغامَرة ممتعة!

ردَّ «بو عمير»: من يُدريك؟ قد تكون هذه مجرد محطة، في الطريق إلى مكان آخر.

لكن لم يكدْ «بو عمير» يَنتهي من كلامه، حتى ظهرت خطوط الطول والعرض، تحدَّد المكان بالضبط. كان خط الطول ٧ درجات، وخط العرض ٣٨ درجة. لحظة، ثم ظهر خطٌّ رفيع أخذ يتعرَّج حتى توقف، وظهر اسمُه بجواره، وكان نهر «جواديانا». لحظة أخرى، ثم ظهرت دائرة حمراء وبجوارها اسم «باداجون» وهي مدينة إسبانية صغيرة، تقع على نهر «جواديانا» بالقرب من الحدود البرتغالية. وحول مدينة «باداجون»، ظهر اللون الأخضر فعرف الشياطين، أنَّ هذه مزرعة.

قالت «إلهام» مبتسمة: إنَّها إجازة طيبة إذن. مزرعة في إسبانيا بجوار نهر صغير. وطبعًا هناك خيول وطيور وصيد. بجوار أن إسبانيا لها شهرتها في المصارَعات المعروفة.

كان «أحمد» مُستغرقًا في تأمل الخريطة، وهو يُحاول أن يصل إلى استنتاج ما. فماذا تعني مزرعة؟ وماذا تعني مدينة صغيرة بالقرب من حدود دولة أخرى؟ هل هذا مقصود، حتى يكون الانتقال من دولة إلى دولة أخرى أسهل. ولماذا الانتقال؟ ظلَّ يطرح في فكره أسئلة كثيرة ويُحاول أن يجيب عليها، إلا أنَّ صوت أقدام رقم «صفر» قطع عليه فرصة الاستمرار في طرح أسئلة أخرى. وعندما توقَّف صوت الأقدام، قال رقم «صفر»: ها أنتم ترون الخريطة أمامكم. إنَّ مغامرتَكم الجديدة، تُحدِّد في هذا المكان، مدينة «باداجون» الواقعة على نهر «جواديانا». إنَّ هذا يعطي إيحاءً سريعًا بما تُشاهدونه في أفلام رعاة

البقر. سكت رقم «صفر» قليلًا، فلمعت في ذهن «أحمد» فكرة: إنَّ المسألة ترتبط بنفس الجو. جو الخيول، والمطاردات وما إليها.

قال رقم «صفر»: إنَّ مغامرتنا تكاد تكون شيئًا من هذا.

ابتسم «أحمد»، حتى إنَّ رقم «صفر» قال على الفور: إنني أعرف أنك تستطيع التوصل إلى نوعية المغامرة بقليل من التحليل. نظر الشياطين إلى «أحمد» الذي كان يخفي ابتسامة.

أضاف رقم «صفر»: أنتم تعرفون أنَّ الحصان العربي الأصيل، هو أغلى حصان في العالم، وهو غالي الثمن؛ لأنه يَتمتَّع بمُميزات لا توجد في حصان غيره. وفي مكتبة المقرِّ السرِّي، دراسات جيدة عن الحصان العربي، وشهرته في المجال العالَمي، أنتم تَعرفون أيضًا أنَّ العرب اهتموا بالحصان من قديم التاريخ. وكان نزول الحصان في المنطقة العربية منذ حوالي ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد. والشعراء العرب لهم قصائد شعرية بديعة في الحصان العربي. وهناك أسماء مشهورة، ومعروفة للحصان، يعرفها الذين يهتمُّون بدراسة الحصان العربي.

صمت قليلًا، ثم قال: لقد أقيم مزاد مؤخرًا، وعرض فيه حصان عربي للبيع، وصل التنافس على شرائه حتى ارتفع ثمنه إلى خمسة ملايين دولار. واشتراه أحد الأثرياء العرب، ممَّن يهتمُّون بالخيول العربية. والحصان اسمه «السهم». وهو يحمل إشارة دولية بأنَّه عربي أصيل، لم تختلط دماؤه، أو أنسابه، فهو سليل الحصان العربي الأول.

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين. فهذه أول مرة يدخلون فيها مغامرة من هذا النوع. بجوار أنَّ هذه أول مرة، يَسمعون فيها عن حصان ثمنه خمسة ملايين دولار!

كان رقم «صفر» قد سكت، حتى يرى تأثير ذلك على الشياطين. وكانت وجوههم تبدو واضحة أمامه فقد كان يراهم، ولا يرونه. قال: «مغامرة ممتعة بلا جدال». ثم أضاف بعد لحظة: إنَّ «السهم» يتميز بأوصاف لا توجد في غيره، وإن كنت أريد أن أشرح لكم أولًا الصفات العامة للحصان العربي، فهو يتميز بشيئين ... غرة في جبينه، والغرة هي خصلة من الشعر الأبيض في جبهته. والثاني، هو الشعر الأبيض، فوق الحافر مباشرة، وكأنَّه يلبس حلقة بيضاء في قوائمه. فهو واسع العينَين، واسع الجبهة، مستقيم الظَّهر، مُنتظم القوائم، مقوَّس الرقبة، قوي العضلات. وهذه الصفات كلها تجعله من أسرع خيول السباق؛ فاتِّساع عينَيه، يعني تحديده للهدف بقوة. واتِّساع الجبهة يعني ذكاءه. واستقامة الظهر، تُريح الفارس الذي يمتطيه. وانتظام القوائم، تجعله رشيقًا لا يحمل شحمًا يثقل وزنه. وتقوس الرقبة، يجعله أكثر قدرة على الانطلاق، فلا يُعوِّقه الهواء. وقوة عضلاته،

تعني أنَّه أكثر قدرة على الحركة والجري والقفز. وهذه كلها مواصَفات مطلوبة لخيول السباق، أو قفز الحواجز.

سكت رقم «صفر» قليلًا، وكان الشياطين يَستمعون باهتمام. فلم يكن الزعيم قد قال لهم ما حدَث للسهم، إلا أنَّ «أحمد» كان قد حدد في ذهنه ما حدث.

قال رقم «صفر»: لقد اختفى «السهم» بعد شرائه بأيام؛ فقد أُقيم المزاد في ولاية فلوريدا الأمريكية. واشتراه الثري العربي، ونقله إلى مزرعةٍ في «تكساس»، حيث تمتدُّ مساحات المراعي، وحيث تُحسن تربية الخيول. ولقد وُضعت حراسة مشدَّدة على «السهم»؛ فهذا السعر المرتفع الذي بيع به، يجعله عُرضة لأيِّ شيء. وهذا ما حدث. واختفاء «السهم» يعني عدة احتمالات: أن تكون عصابة ما قد سرقتْه، أو أن يكون بائعه الأصلي قد فعَل نفس الشيء. في نفس الوقت لا بدَّ أن يكون هناك اتِّفاق بين الحراس وبين من سرق «السهم». مع ذلك فإنَّ الحراس، لم ينقص منهم أحد، وهذه مسألة طبيعية. فإذا اختفى أحدهم، فإنَّ ذلك يعني، أنَّه داخل عملية السَّرقة. لقد حدثت عملية بحث واسعة. واشتركت جهات أمن كثيرة، على مستوى العالم، في عملية البحث، داخل أمريكا، وخارجها لكنَّهم في النهاية لم يتوصلوا لشيء.

سكت الزعيم، في نفس الوقت الذي كان فيه صوت أوراق تُقلب، وعرف الشياطين أنَّها تقارير عملاء رقم «صفر».

قال بعد قليل: إنَّ تقارير العملاء تقول إن «السهم» قد نُقل بطائرة نقل من «تكساس» إلى إسبانيا مباشرة. وأنَّ خطة خطفه كانت مجهَّزة قبل عملية المزاد. وقد نُقل ليلًا، حيث استقر في النهاية في مزرعة السيد «كاجان» بالقرب من مدينة «باداجون» التي تظهر على الخريطة.

إنَّ «كاجان» كان قد حضر مزاد البيع، واشترك فيه. كان المزاد قد بدأ بمبلغ ٧٥٠ ألف دولار، وظلَّ يرتفع حتى وصل إلى ثلاثة ملايين، فعرض «كاجان»، ثلاثة ملايين وربع. رفعها التاجر الفرنسي «دوديه» إلى ثلاثة ونصف. ثم رفعها تاجر أمريكي يُدعى «فوريد» إلى أربعة ملايين دفعة واحدة. صرخ «كاجان» يقول: أربعة ملايين ومائة ألف. فقال الثري العربي ارفعها إلى أربعة ونصف، فصرخ كاجان مرة أخرى: ارفعها إلى أربعة ملايين و ٧٥٠ ألف. فقال العربي: إنَّ خمسة ملايين ليست كثيرة على «السهم» العربي!

ولم يَنطِق أحد بعدها، فلم يكن باستطاعة أحد أن يرفع السعر أكثر من خمسة ملايين، وهكذا أصبح «السهم» من حق الثري العربي.

صمت رقم «صفر» لحظة ثم أضاف: لعلَّ ما يلفت النظر في «السهم» أنَّ لونه أزرق. وهو لون لا يتميَّز به سوى الحصان العربي.

ظهرت الدهشة من جديد على وجوه الشياطين. أن يكون هناك حصان أزرق، فهذه مسألة غريبة. غير أنَّ الزعيم أضاف: «إنَّه ليس أزرق طبعًا كالسماء، أو البحر، لكنَّه يَميل في لونه إلى الأزرق الرمادي.» أضيف إليكم شيئًا: إنَّ «كاجان» قد انصرَف بعد المزاد، وقد ظهر الغضب على وجهه. وعندما انصرَف، ظلَّ ينظر في اتجاه السَّهم، وكأنَّه قد عزَّ عليه أن يخسر هذا الحصان النادر.

سكت رقم «صفر». وشعر الشياطين أنَّ المغامرة الآن قد اكتملَت، وأنَّه لم يَعُد أمامهم إلا أن يَنطلقُوا إلى حيث يعيش «السَّهم الأزرق» الآن، في مزرعة «كاجان». انتظر الشياطين أوامر رقم «صفر»، الذي قال بعد لحظة: إنَّ الوقت عامل هام في مُغامرتكم، فليس معنى وجود «السهم» في مزرعة «كاجان» أنَّه سيبقى هناك إلى الأبد، إنَّه يمكن أن ينتقل في أي لحظة إلى أي مكان آخر. في نفس الوقت، لا بدَّ أن يكون تفكيركم، أنَّ «السهم» يمكن أن ينتهي إلى الأبد، فقط، كنوع من الانتقام؛ لأنَّه لم يحصل عليه في المزاد. إنَّ المسألة ليست خمسة ملايين دولار، قيمة «السهم» أبدًا. إنَّ «السهم» نفسه لا يُقدَّر بثمن، لأنَّ نسله سوف يظل عربيًا؛ فأولاده سوف يكونون على نفس الدرجة من الأهمية!

صمت قليلًا، ثم قال: إنَّكم تُنقذون سلالة مهمَّة، من السلالات العربية. وهذه هي أهمية المغامرة. سكت لحظة، ثم سأل: هل لديكم أية أسئلة؟ انتظر قليلًا، لكن الشياطين لم يكن لديهم أي سؤال. ولذلك فقد قال بعد قليل: أتمنَّى لكم التوفيق في مغامرتكم الجديدة. إنَّ مجموعة المغامرة هي: «أحمد»، «رشيد»، «فهد» و«خالد»، «باسم»، عليكم بالانطلاق بسرعة. وإلى اللقاء!

بدأت خطواته تبتعِد قليلًا، قليلًا، حتى اختفَت. في نفس الوقت، الذي كان فيه الشياطين قد بدءوا يُغادرون القاعة الصغرى في طريقهم إلى حجراتهم. ولم تمضِ نصف ساعة، حتى كانت السيارة تُغادِر المقرَّ السريَّ، في طريقها إلى حيث يبدأ الشياطين مغامرتهم.

فيلم خاص عن «سهم»!

كان عليهم أن يَنزلوا «باريس» أولًا، ثم يأخذون طائرة أخرى، إلى «مدريد» عاصمة «إسبانيا». وعندما نزلت الطائرة في مطار «شارل ديجول» الكبير، كانت هناك ساعة حتى يحين موعد إقلاع الطائرة إلى «مدريد». وهذه لم تكن أول مرة ينزلون فيها باريس. كما أنَّها ليست أول مرة يهبطون في مطار «شارل ديجول». ولأنَّ الساعة كانت تُمثِّل بالنِّسبة لهم وقتًا طويلًا، أمام ضرورة سرعة التحرُّك. فقد أخذوا يتجولون في المطار حتى يقطعوا الوقت. ذهب «أحمد» إلى حيث تُباع الجرائد ومجلات اليوم. وقعت عيناه على غلاف مجلة عليه صورة حصان. أسرع يأخذ المجلة، ويقلبها بسرعة. كانت المجلة عن الخيول. اشتراها، واشترى جرائد اليوم، ثم عاد إلى حيث الشياطين؛ فقد جلس «رشيد» على أحد المقاعد، ولم يتحرك من مكانه. كان يتأمل حركة المُسافرين. لمح في يد «أحمد» المجلة والجرائد، فأخذ جريدة، واستغرق في قراءة ما بها من أخبار. نظر «أحمد» في ساعة يده. كانت نصف ساعة قد انقضَت. ألقى نظرة في صالة المطار الواسعة، التي كانت تعج بالنشاط، فلم يرَ أحدًا من الشياطين. قال في نفسه: إنَّهم يقومون بعملية بحث كالعادة. ومن يَدري، فقد يعثر أحدهم على شيء. فتح مجلة «هورس»، ومعناها الحصان، وأخذ يَقرأ. توقف عند موضوع محدَّد، وظهر الاهتمام على وجهه. كان الموضوع عن «السهم».

نظر «رشيد» إليه فرأى الاهتمام على وجهِه. ظل يتتبعُه لحظة، ثم همس إليه: هل هناك ما يجذب اهتمامك؟

ردَّ «أحمد» دون أن ينظر إليه: إنَّه «السهم»!

انتقل «رشيد» إلى جواره، وألقى نظرةً على المجلَّة. كانت صورة حصان رشيق تمامًا، جميل الصورة، له نفس المواصفات التي ذكرها رقم «صفر»: واسع العينين، واسع الجبهة،

مستقيم الظَّهر، مقوس الرقبة، تبدو عليه القوة، وتحدد اللون أمام «رشيد». إنَّه فعلًا الأزرق المائل إلى الرمادي. همس: كم هو جميل. «إنَّه فعلًا يستحق السرقة!»

ابتسم «أحمد» دون أن يردَّ. فقد كانت عيناه تجريان على السطور، يُحاول أن يعرف المزيد عن «السهم». كانت المجلة تذكر البطولات التي اشترك فيها «السهم» والجوائز التي فاز بها. أيضًا ذكرت مسابقة أجمل حصان، كان «السهم» هو الفائز بالجائزة الأولى. كذلك عرضت المجلة تاريخ حياة «السهم» وموطنه الأول، وعائلته التي انحدَر منها، والذين اشتروه، الواحد بعد الآخر، حتى وصَل إلى الثري العربي. ثم تعرَّضت لحادثة اختفائه. وكان واضحًا اهتمامهم بأخبار «السهم».

قطع استغراقهما في القراءة صوت مُذيعة المطار، تطلب من المسافرين التوجُّه إلى الطائرة المتَّجهة إلى «مدريد»، في نفس اللحظة التي وصل فيها الشياطين إلى حيث يجلس «أحمد» و«رشيد»، اتجه الشياطين بسرعة إلى الطائرة ... ولم تمضِ دقائق على جلوسهم على مقاعدهم، حتى كانت تشقُّ الفضاء. شرد «أحمد» قليلًا، ثم قدم المجلة إلى «خالد»، الذي انهمك في القراءة؛ فقد أشار «أحمد» إلى الموضوع الخاص بـ «السهم».

ألقى «أحمد» نظرة من خلال النافذة الصغيرة التي بجواره. كانت الطائرة، تمرُّ فوق سلسلة جبال عالية تمامًا. تذكر قليلًا، ثم عرف أنَّها سلسلة جبال «البرانس» التي تقع بين فرنسا وإسبانيا. كان المنظر بديعًا جدًّا. هذه الألوان الإلهية البُني والأبيض والأزرق والبنفسجي. كل هذه الألوان، مُتجاورة ومُنسجمة. قال في نفسه: إننا ندخل إسبانيا. وبعد قليل سوف تظهر سلسلة جبال «سيراجوادراما» الإسبانية. بعدها ننزل في «مدريد».

في نفس الوقت كانت مجلة «هورس» تنتقل من «خالد» إلى «باسم» ثم «فهد». نظر «أحمد» في ساعة يدِه، في اللحظة التي أعلنت فيها مذيعة الطائرة، أنَّهم يقتربون من مطار «مدريد»، ولذلك طلبتْ من الركاب ربط الأحزمة. ولم تمرَّ ربع ساعة، حتى كانت الطائرة تنزل في مطار «مدريد». دقائق أخرى، وكان الشياطين يأخُذون طريقهم إلى خارج المطار.

كان الغروب قد بدأ يَنشُر أضواءَه الرمادية خارج المطار. اتجه الشياطين مباشَرة إلى سيارتهم التي كانت تقف هناك. وعندما ركبوا وأغلق آخرهم الباب، كان صوت عميل رقم «صفر» في «مدريد» يرحب بهم، ويقول: إنَّ القطار المتَّجه إلى «باداجون» سوف يتحرَّك عند منتصَف الليل. ويصلها عند الفجر. يُمكِن أن تقضوا هذا الجزء من الليل، في فندق «آراب» أو «العرب».

رد «أحمد» يشكره وهو يقول: سوف نتجه فعلًا إلى هناك!

اتجهت السيارة إلى فندق «آراب»، حيث أسرعوا إلى حُجراتهم، لكنهم لم يبقوا فيها كثيرًا؛ فقد اتجهوا جميعًا إلى حجرة «أحمد»، يقضُون الساعات الباقية في رسم خطة عملهم. فجأة، أعطى جهاز الاستقبال إشارة. فعرفوا أنَّ هناك رسالة من رقم «صفر» لأنَّها إشارة خاصة. كانت رسالة شفرية، استقبلها «أحمد». كانت الرسالة: «٢٩ – ١٤ – ٢٣ – ٢٢ – ٢٤» وقفة «٣ – ١٢ – ٥ – ٢٩ – ٢٣» وقفة «٢٣ – ٢٤ – ١١ – ١ – ٨» وقفة «٢ – ٢٩ – ١٨» وقفة «١٢ – ٢٧ – ٢٤» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٣ – ٢٩ – ٢٣ – ٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ٦ – ٨ – ٢٩ – ٤» وقفة «٢٤ – ١٨» وقفة «١ – ٢٣ – ١٨ – ٢٤ – ٢٩ – ٢٣» انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: يصلكم تسجيل لمزاد بيع السهم الليلة. الحديث مع العميل.

ظهرت الدهشة على وجه الشياطين. وقال «خالد»: هذا رائع، أن نرى كل الأطراف: «سهم» و«كاجان» «وفوريد» و«دوديه». لقد كنت مُتلهِّفًا لرؤية «سهم» بالذات.

قال «رشيد»: سوف نراه على الطبيعة في مزرعة «كاجان»!

«باسم»: من يدري. ربما يكون قد اختفى!

تعلق الصمت فوق رءوس الشياطين. فهل يمكن أن يختفي «سهم» إلى الأبد. أو هل يُمكن أن ينتقِل من مزرعة «كاجان» إلى أي مكان آخر؟ كانت هذه الاحتمالات موجودة، فأي شيء، يمكن أن يحدث.

فجأة دقَّ جرس التليفون. فأسرع «أحمد» إليه.

رفع السماعة، فجاءه صوت العميل: هل أنتم مستعدون؟

ردَّ «أحمد»: نعم.

قال عميل رقم «صفر»: سوف أبدأ عرض الفيلم الآن، افتحوا التليفزيون عندكم، مع تثبيت الجهاز «ص» في ظهر التليفزيون، سوف يكون العرض خاصًّا بكم، ولا يستطيع أحد أن يشاهده غيركم!

شكره «أحمد» ووضع السماعة، وبسرعة، كان يثبت الجهاز «ص» وهو جهاز إليكتروني دقيق، فوق ظهر التليفزيون. والجهاز «ص» هو عبارة عن جهاز استقبال تليفزيوني، يعمل على موجة خاصة لا يعرفها سوى الشياطين. بعد لحظة، ضغط زر التشغيل في التليفزيون، بينما كان الشياطين، يجلسون أمام الجهاز في اهتمام. لحظة، ثم ظهرت إشارة حمراء. تركزت الكاميرا على مساحة خضراء واسعة. لحظة أخرى، ثم ظهر حصان أسود، تبدو عليه القوة، كان يركبه «جوكي»، دار دورة هادئة داخل الملعب الأخضر. كانت الكاميرا تستعرض الحصان وهو يمشي مهتزًّا، وكأنَّه يرقص. لحظة ثم انتقلت إلى مدرج مُزدحِم بالمُتفرِّجين. وعلى حافة الملعب، كان يقف عدد من المهتمين بالخيول.

جاء صوت مُرتفِع يعلن: الحصان «رعد». البداية ٥٠ ألف دولار!

مرَّت لحظات صمت، وتقاربَت رءوس، ثم قال الصوت: السيد «كاجان» يعرض ستِّين ألفًا. ثم …

توالت الأرقام، حتى ٥٠٠ ألف دولار، ودفعها السيد «دوديه»، التاجر الفرنسي. عندما أعلن المذيع ذلك، تركزت الكاميرا على «دوديه» بوجهِه النحيل، وقامته المشوقة كسيف. وتوالت الخيول، بين الأبيض والبني، والأسود البني، ثم في النهاية، أعلن صوت المذيع: والآن، نحن أمام أجمل حصان شهدته الملاعب. إنَّه ملك جمال الخيول. سكت لحظة، كان الشياطين يتابعون باهتمام، لكنهم الآن، أكثر اهتمامًا. جاء صوت المذيع يقول: «آرو!» ويعني «سهم». ثم قال: ««سهم» الفائز ببطولة العالم في السباق، وحاصل على لقب أجمل حصان.» لحظة، ثم ظهر «سهم»، وكان يَمتطيه فارس أسمر، يلبس ملابس «الجوكيه» ذات اللون الأبيض.

كان «سهم»، أزرق اللون كما قال رقم «صفر». وكما ظهر في مجلة «هورس». شديد الجمال، يَمشي في ثقة، وكأنَّه يعرف أنَّه أجمل حصان في العالم.

قال المذيع: إنَّ «سهم» لا يحتاج إلى تعليق كبير. فأنتم جميعًا تعرفون من هو «سهم» … سكت المذيع، بينما تركزت الأعين على هذا الحصان البديع. كانت الكاميرات تقدم «سهم» من كل الزوايا. لحظة، ثم أعلن المذيع: البداية نصف مليون دولار … يعرضها السيد «فوريد» من أمريكا. بعدها مباشرة قال: ٦٠٠ ألف … السيد «بوش» من ولاية «دالاس». وبدأت الأرقام: ٧٠٠ ألف دولار … «جوار» من هولندا.

– ٨٠٠ ألف دولار … من «فوشيه»، فرنسا.

– مليون من السيد عاص … عربي.

– مليون وربع من السيد «كاجان».

– مليون و٣٠٠ ألف من «دوديه».

ثم ارتفعت حمى الأرقام: ثلاثة ملايين من «كاجان»!

تركزت الكاميرا، على «كاجان». كان صلبًا، طويلًا يميل إلى سمرة خفيفة. عيناه ضيقتان كثعلب، يمسك في يده وردة حمراء، يقضم أطرافها. وعرف الشياطين أنَّها حالة عصبية. ثم فجأة أعلن المذيع: ثلاثة ملايين ونصف من «عاص»!

ارتفعت همهمة من الناس … بينما كانت الكاميرات، تتوقف عند «سهم» الذي كان يدبُّ الأرض بقدميه، وكأنه يعترض على الرقم.

ارتفعت الأرقام، حتى قال المذيع: أربعة ملايين و٧٥٠ ألفًا من «كاجان».

أعقبها مباشرة صوت المذيع يقول: خمسة ملايين من السيد «عاص».

ارتفعت الهمهمات أكثر، وتركزت الكاميرات على السيد «عاص» لأول مرة. كان يبدو كالفارس، له لحية صغيرة، وكان يبدو متوسط السن. وبسرعة انتقلت الكاميرا إلى وجه «كاجان» الذي كان يقضم الوردة الحمراء من غضبه، ثم ألقى بها إلى الأرض في عنف.

انتهى الفيلم. ونظر الشياطين إلى بعضهم.

فقال «رشيد»: إنَّ «كاجان» يبدو ضيق الصدر تمامًا.

أسرع «أحمد» ينزع الجهاز «ص» من ظهر التليفزيون. في نفس الوقت الذي ارتفع فيه رنين التليفون فردَّ «أحمد». كان صوت عميل رقم «صفر» يقول: أرجو ألا تنسوا نزع الجهاز «ص»!

ابتسم «أحمد»، وهو يقول: لقد نزعناه فعلًا.

قال العميل: هل من أوامر أخرى؟

شكره «أحمد»، فتمنَّى للشياطين رحلة طيبة، ثم انتهت المكالمة.

استغرق الشياطين في أحاديث شتى، فقد استقر رأيهم على أن يستغلوا رحلة القطار في النوم. ولذلك، ما إن دقَّت الساعة الحادية عشرة، حتى قال «أحمد»: ينبغي أن نتحرَّك الآن، حتى يكون الوقت ملكنا.

في دقائق، كانوا يُغادرون فندق «آراب» إلى السيارة التي أقلتهم إلى حيث محطة السكَّة الحديد، التي تقع في قلب «مدريد». كان الجو لطيفًا، ولم يكن هناك ركاب كثيرون. أسرع «فهد» بإحضار التذاكر من الشباك، ثم عاد إلى الشياطين، حيث كانوا يقفُون على رصيف المحطة. دقائق، ووصل القطار. تحركوا إلى حيث أماكنهم المحدَّدة، وكانت عربات نوم.

أخذ «أحمد» و«فهد» حجرة. وأخذ «خالد» و«باسم» حجرة.

فقال «رشيد»: أرجو أن يكون زميلي في الحجرة، في حاجة إلى النوم، فلا يضطرُّني إلى السهر، حتى «باداجون».

بعد ربع ساعة، أطلق القطار صفارة البداية. وعندما تحرك وهو يغادر المحطة، كان هذا يعني، أن الشياطين في طريقهم للقاء «كاجان» و«سهم» أيضًا.

أخيرًا ... هذه مزرعة «كاجان»!

كان الليل يُغطي كل شيء خارج القطار، الذي كان يَنطلِق بسرعة. وكان الشياطين قد استغرقوا في النوم، بمجرَّد تحرك القطار إلا «رشيد».

فلقد كان سريره العُلوي، إلا أنَّ الرجل المصاحب له قال: هل تسمح لي بأن نتبادل السريرَين، إنني أصاب بالغثيان عندما أنام في السرير السُّفلي، وأنت ما زلت صغيرًا تستطيع الاحتمال!

كان صوت الرجل خشنًا، أصاب «رشيد» بنوع من القشعريرة. لكنَّه في نفس الوقت لم يرفض. فقد تنازل عن سريره العلوي، ونزل إلى السرير الأسفل. وعندما كاد يغرق في النوم، كان الصوت الخشن يقول: هل نام الزميل؟

رد «رشيد»: نعم، أوشك على النوم!

قال الرجل: لا أدري ماذا أصابني، إنني أعاني من حالة أرق!

رشيد: حاول أن تسترخي. إنَّ ذلك يجلب النوم.

الرجل: لقد حاولت بلا نتيجة؛ فهذه حالة أُصاب بها، كلما سافرت ليلًا.

كان «رشيد» يشعر بالغيظ؛ لأنَّه يريد أن يرتاح؛ فهو لا يعرف، متى يمكن أن ينام مرة أخرى، فالمغامرة قد تحتاج إلى صراع مستمر، ولذلك لم يرد.

غير أنَّ الرجل قال: يبدو أنك متعب، وتريد النوم. هل نمت فعلًا؟

أجاب «رشيد»: ليس بعد، وإن كنتُ فعلًا في حاجة إلى نوم.

الرجل: لا بأس. ينبغي أن تنام. لقد كنتُ في صغري أنام مبكرًا أيضًا.

صمت لحظة ثم أضاف: أتمنَّى لك نومًا هادئًا.

لم يردَّ «رشيد». غير أنَّه لم ينم أيضًا؛ فقد كانت الدقائق التي تحدث فيها الرجل، كافية لأن تُطير النوم من عينَيه. مرَّ بعض الوقت، ثم وصل إلى سمعِه، صوت أقدام قوية ...

فجأة، قفز الرجل من فوق السرير، ليقف بجوار «رشيد». استمع لحظة، في الوقت الذي أغمض «رشيد» عينَيه نصف إغماضة حتى يرى ما يحدث. في لحظة، رأى يد الرجل ترتفع لتهبط فوق رأسه. لكنه كان أسرع منه؛ فقد ضرَب الرجل بقدمه ضربة قوية، جعلته يَندفِع، ثم يَصطدم بجدار الحجرة الصغيرة. إلا أنَّ ذلك لم يكن كافيًا. فقد تحرك الرجل بسرعة، وفتح الباب، واختفى. جلس «رشيد» لا يَدري شيئًا ... فماذا كان يريد هذا الرجل؟ كان صوت الأقدام قد اقترب. أسرع «رشيد» ووقف في الباب، في نفس اللحظة، التي كان الشياطين قد خرجوا أيضًا، عندما سمعوا صوت ارتطام الرجل بالجدار؛ فقد كانت حجراتهم متجاورة.

ظهر كذلك عدد من رجال الشرطة، وبدأ أكثر من وجه يطلُّ من أبواب الحجرات.

أسرع الشياطين إلى «رشيد»، وسأله «أحمد»: ماذا حدث؟

وفي كلمات سريعة، حكى له الموقف. في نفس الوقت كان بعض رجال الشرطة قد وصلوا.

فسألهم «أحمد»: هل هناك شيء؟

نظر له الضابط لحظة، ثم قال: إننا نبحث عن مجرم هارب.

نظر «أحمد» إلى «رشيد» الذي قال: هل هو متوسط القامة، خشن الصوت؟

رد الضابط بسرعة: نعم!

قال «رشيد»: لقد هرب الآن، وكان يشاركني مقصورة النوم!

فجأة اندفع «رشيد» جاريًا في نفس الاتجاه الذي اختفى فيه الرجل؛ فقد لمحه يقترب من باب القطار. وعندما وصل «رشيد» إلى هناك، كان الرجل قد فتح الباب، واستعدَّ للقفز برغم سرعة القطار. إلا أنَّ «رشيد» كان قد طار في الهواء وضربه ضربة جعلت الرجل يدور حول نفسه ويتخبط. إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من القفز. في نفس اللحظة، كان «رشيد» قد قفز مرَّة أخرى، وتعلَّق به، فسقط الاثنان خارج القطار. وقف الشياطين لا يدرون ماذا يمكن أن يفعلوا الآن؟ إلا أنَّ الضابط أسرع إلى جرس الإنذار، وجذبه بقوة. ولم تمضِ دقائق، حتى كان القطار يُهدئ من سرعته، ثم يتوقف. لكن ذلك استغرق وقتًا. وكان القطار قد قطع حوالي كيلومتر. قفز الشياطين بسرعة من القطار إلى قلب الليل. في نفس الوقت الذي كان فيه الضابط يتبعهم مع عدد من الجنود. أضاء الضابط بطارية صغيرة، وتقدَّموا على هداها. كان ثلث ساعة قد انقضى.

وفجأة، ظهر من قلب الظلام اثنان. كان «رشيد» يسوق الرجل أمامه بعد أن قبض عليه. ابتسم الشياطين في سعادة؛ فهم دائمًا على استعداد لتقديم المعونة. كان الرجل يبدو

متعبًا تمامًا، بما يعني أنَّ «رشيد» قد لقَّنه درسًا قاسيًا، وعندما وضع أحد الجنود الحديد في يد الرجل، قال الضابط: لقد أسديتم لي معروفًا لن أنساه. إن هذا المجرم قد ارتكب عدة جرائم، وهو هارب من العدالة.

صمت لحظة ثم قال: دعوني أشكر لكم هذا العمل العظيم. خصوصًا ... ونظر إلى «رشيد» في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت القطار. فأخذوا طريقهم إليه. وعندما تسلقوه الواحد بعد الآخر انطلقت صفارته مرة أخرى، ثم تحرك في طريقه إلى «باداجون».

داخل القطار قال الضابط: هل تسمحون لي بدعوتكم لشراب ساخن؟!

إلا أنَّ الشياطين اعتذروا؛ لأنَّهم في حاجة إلى النوم، وبسرعة كانوا متجهين إلى مقصورات النوم، ومرة أخرى كان «رشيد» وحده. إلا أنَّه كان سعيدًا لأنه سوف يستغرق في النوم دون إزعاج. وما كاد يُلقي نفسه على السرير حتى استغرق فعلًا في النوم، ولم يستيقظ إلا عندما اهتز القطار بشدة. أزاح الستائر عن نافذة المقصورة فملأ الضوء المكان. عرف «رشيد» أنَّ القطار قد توقَّف في «باداجون». قفز من سريره بسرعة. وعندما خرج إلى الطرقة الطويلة رأى الشياطين أمامه. تحركوا بسرعة مع الركاب الذين كانوا يغادرون القطار، ونزلوا على رصيف المحطة. وبسرعة أيضًا أخذوا طريقهم إلى خارجها، أخرج «أحمد» خريطة صغيرة، ثم جرَت عيناه فوقها، وقال: سوف ننزل في فندق «سيبرا». إنَّه يبعد كثيرًا عنَّا.

أشار «خالد» إلى تاكسي فركبوه، وتحدث «أحمد» بالإسبانية إلى السائق الذي اتجه مباشرة إلى فندق «سيبرا». في الطريق سأل «أحمد» السائق: ما هي أخبار سباق الخيل هنا؟

ردَّ السائق: إنَّ السباق يدور في «مدريد»، هنا فقط تنتشر مزارع الخيول!

أحمد: هل هي قريبة من المدينة؟

السائق: تستطيع أن تقول ذلك!

ابتسم «أحمد» وقال: هل تهوى السباق؟

السائق: في بعض الأحيان!

أحمد: وهل تذهب إلى العاصمة؟

السائق: نعم. عندما يكون السباق جيدًا!

أحمد: وكيف يكون جيدًا. وأنت بعيد عنه؟

السائق: أسماء الخيول المشتركة في السباق!

أحمد: أم أسماء الجوكيه؟!

كان الشياطين يستمعون إلى الحوار الذي يدور، وهم يعرفون أنَّ «أحمد» يسعى وراء معلومات جديدة.

قال السائق: الجوكيه، لا يختلفون كثيرًا. الحصان هو الذي يختلف!

ابتسم «أحمد» قائلًا: وما هي الخيول التي تفضلها؟

نظر له السائق قليلًا، بينما كانت السيارة تقترب من فندق «سييرا» ثم قال: البرق. الريح.

سكت لحظة، ثم قال: أما إذا كان «السهم» فإنني لا أعمل وأسافر فورًا!

ابتسم «أحمد»، وقال: وهل هناك سباق قريب؟

قال السائق وهو يقف بالسيارة بجوار الرصيف: بعد يومين. لكن «السهم» لن يشترك!

أحمد: لا بد أنَّه مصاب!

السائق: ليس بهذا المعنى.

نظر إلى «أحمد» قليلًا، ثم أضاف: لقد اختفى «السهم»، ولا أحد يدري أين هو.

أضاف بعد قليل: أظنُّك لا تعرف ماذا حدث.

قال «أحمد» دون أن يبدي اهتمامًا كبيرًا: لست من هُواة حضور السباق، وإن كنت أهوى مشاهدة الخيل.

ابتسم الرجل قائلًا: إذن احرص على حضور استعراض الغد. فدائمًا قبل السباق بيوم، يقام استعراض للخيول بعضها يكون مشتركًا، والبعض للاستعراض فقط.

أبدى «أحمد» بعض الاهتمام، في نفس الوقت الذي كان الشياطين يتابعون ما يدور باهتمام شديد، قال «أحمد»: وأين يقام الاستعراض؟

السائق: في مزرعة السيد «كاجان»!

أحمد: هل تَبعُد كثيرًا؟

السائق: ليس كثيرًا، إذا كنتم ترغبون في حضور الاستعراض فلنتَّفق.

اتفق الشياطين مع السائق، الذي قدم نفسه لهم في نهاية الحديث: اسمي «فاليرو»!

غادر الشياطين التاكسي إلى فندق «سييرا»، وهم يؤكدون موعدهم في الغد مع السائق.

وعندما انطلق التاكسي ابتسم «فهد» قائلًا: إنَّه حوار طيب.

قال «باسم»: من يدري، لعله من رجال «كاجان»!

قال «خالد»: وهو يبتسم ابتسامة عريضة: في هذه الحالة يكون قد قدَّم لنا معروفًا لا يُنسى!

اتجهوا إلى الفندق في هدوء، بينما كان النُّزَلاء يغادرونه. كان الفندق متوسط الحجم ولا يرتفع كثيرًا، بينما تلمع فوقه لافتة ضخمة تعلن اسم: «سييرا». دخلوا، واتجه «رشيد» إلى الاستعلامات يطلب غرفًا. ولم تكن هناك سوى غرفة واحدة.

قال موظَّف الاستعلامات: إنَّها غرفة واسعة ويُمكن أن نضع فيها أسرَّة إضافية!

ابتسم رشيد وهو يقول: هل العمل نشيط هذه الأيام؟

رد الموظف بابتسامة، قائلًا: نعم. ثم أشار إلى لوحة معلَّقة وهو يقول: غدًا، مهرجان استعراض الخيول وهواتُها كثيرون.

قال «رشيد»: لا بأس إذن!

قال الموظف: خلال دقائق، تكون الغرفة معدَّة.

عاد «رشيد» إلى حيث يقف الشياطين أمام اللافتة يقرءون ما بها من معلومات، ونقل إليهم ما دار بينه وبين موظف الاستعلامات. ثم ابتسم وهو يضيف: يبدو أننا سوف نشهد شيئًا طيبًا!

مرَّت دقائق، ثم اقترب أحد العمال من الشياطين يخبرهم أنَّ الغرفة جاهزة. ثم صحبهم إليها. عندما دخلوا، توقفوا قليلًا، كانت الغرفة متسعة فعلًا، وإن ملأتْها الأسرَّة، إلا أنَّ موقعها كان بديعًا، لقد كانت تطلُّ على مزارع ممتدة حتى الأفق. اقتربوا من الشرفة الزجاجية العريضة، يتأملون المزارع.

بعد لحظة، قال «باسم»: من يدري، في أي مكان فيها، يوجد «سهم»!

فجأة، تردَّد ضوء أحمر في جهاز الاستقبال. أسرع «أحمد» إليه، وتلقى الرسالة. كانت من رقم «صفر»، وكانت بطريقة الشفرة: «١ – ٥ – ١٥ – ١٠ – ٢٦ – ١» وقفة «١ – ١٢ – ٣ – ١٨ – ١٠ – ١ – ١٥» وقفة «١ – ٢٣ – ٧ – ٢٩ – ٢٦ – ٢٣» وقفة «٣ – ٥ – ١٠ – ٢٢ – ٢٦ – ١» وقفة «٢١ – ٢ – ٢٣ – ٢٧» انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: «احضروا استعراض الخيول. تحركوا قبله.»

نقل «أحمد» ترجمة الرسالة إلى الشياطين. أخذوا يتحاوَرُون فيما يقصده رقم «صفر» بجملة «تحرَّكوا قبله».

وفي النهاية اتفقوا على معنى واحد، هو: يجب التحرُّك من الآن.

قال «أحمد» بعد لحظة: إنَّ الاستعراض، قد لا يعطينا الفرصة لمراقبة كل شيء جيدًا.

في دقائق كانوا يُغادرون فندق «سييرا»، ثم يستقبلون تاكسيًا. وعندما سألهم السائق عن وجهتهم.

قال «أحمد»: مزرعة «كاجان»؛ حيث أرض الاستعراض.

قال السائق: إنَّ هذه مسافة كبيرة، والاستعراض يبدأ غدًا.

رد «أحمد»: كم من الزمن تستغرقه السيارة إلى هناك؟

أجاب: ساعة بالسرعة العادية.

قال «أحمد»: لا بأس. فلنذهب.

صمت الجميع، ولم يكن يُسمع سوى صوت موتور السيارة، وسط الخلاء الأخضر، حيث كانت الخضرة تمتد حتى مدى البصر، كان المنظر بديعًا فعلًا. فاستغرق الشياطين في مشاهدته، وكان الوقت مبكرًا، حتى إنَّهم لم يكونوا يفكرون إلا في هذه الرحلة التي حدثت فجأة، ومنحتهم نوعًا من المتعة. انقضى الوقت سريعًا، فعندما نظر «أحمد» في ساعته، كانت ثلاثة أرباع الساعة قد انقضت، حتى إنَّ السائق قال: إننا نقترب من مزرعة «كاجان».

وبعد دقائق قال: هل ترون هذه الأسلاك الممتدَّة. إنَّها بداية المزرعة، فهي متسعة المساحة.

وعندما انقضت ثلاثة دقائق أخرى، قال «أحمد»: سوف ننزل هنا!

توقف السائق، فغادر الشياطين السيارة.

وقدم «رشيد» للسائق مبلغًا طيبًا من المال، جعل السائق يشكرهم. ظلوا في أماكنهم حتى انصرف السائق، ثم بدأت خطواتهم تتجه إلى هناك.

مهمة في المزرعة السرية!

كل شيء في مزرعة «كاجان» محكوم بنظام خاص؛ ففي الصباح الباكر تخرج الخيول إلى المراعي، مُنطلقة دون أن يوقفها شيء، اللهم إلا السور السِّلكي. وفي زوايا محدَّدة من السور يقف الحراس، يراقبون حركة الخيول، إنَّ الشمس هناك تكون رائعة في الصباح، لكنها في الظهيرة تميل إلى الحرارة. ولذلك فعندما يبدأ الحر، تُساق الخيول إلى أماكن ظليلة، حتى تنكسر حدة الحر، فتعود إلى المراعي، مرة أخرى. غير أنَّ خيول السباق لها نظام آخر. ففي العاشرة صباحًا تبدأ تدريباتها اليومية؛ الجري داخل مضمار خاص بها في مزرعة «كاجان»، وعندما ينتهي التدريب تنضمُّ إلى بقية الخيول، لتنعم بالراحة والغذاء. أما آخر النهار فإنَّها تنال عناية خاصة حيث يكشف عليها طبيب خاص، ثم تستحم في حوض خاص داخل المزرعة ... وأخيرًا، تأخذ طريقها إلى حظائرها.

هذا النظام لا يُفسده شيء، ولا يُمكن أن يتغيَّر مرة، اللهم إلا إذا كان هناك استعراض للخيول، فإنَّ النظام ساعتها يخضع لترتيبات الاستعراض. ولهذا، فعندما اقترب الشياطين من المزرعة، كانت خيول السباق في تدريباتها، أما الخيول الأخرى فقد كانت ترعى في هدوء ...

اقترب الشياطين من السور السِّلكي. غير أنَّ «أحمد» قال: ينبغي أن ندخل من الباب، وليس من السور، حتى لا نُثير شكوك أحد. وأظنُّ أن أحدًا لن يعترض.

قال «باسم»: علينا أن نُراقب المكان لبعض الوقت ولا أظنُّ أننا سوف نُثير شكوك أحد؛ فهذه مسألة عادية.

ولم ينتظر؛ فقد أخرج منظاره المكبر، ورفعه إلى عينَيه وهو يقول: إنَّ التصرف بحذر في حالتنا هذه يُمكن أن يدفع الآخرين إلى الشك، أما التصرُّف بشكل عادي، فهو لا يَلفت نظر أحد.

وكانت هذه وجهة نظر صحيحة؛ ولذلك فقد وقف الشياطين يُراقبون الخيول، وهي تمارس حياتها داخل مزرعة «كاجان». ولم يلفت وجودهم نظر أحد، سواء من الحراس أو غيرهم.

فجأة همس «باسم»: إنَّ هناك سيارة نصف نقل تغادر المزرعة، ويبدو أنَّها تحمل أجولة، وأشياء أخرى. في نفس الوقت، فإن السائق لا يركب بجواره أحد.

تساءل «رشيد»: ماذا يعني هذا؟

إلا أن «باسم» لم يرد؛ فقد كان يراقب من خلال المنظار تحرك السيارة وهي تُغادر المزرعة.

قال بعد قليل: إنَّها سيارة «شيفروليه»، وتحمل رقم ١٩٩٨٤٠ ...

... ثم أكمل بعد لحظة: بيضاء اللون، على جانبها علامة مميزة لرأس حصان، وحرف «ك» مكتوب بطريقة خاصة.

كان الشياطين يُراقبون «باسم» في صمت. إلا أنَّ «أحمد» كان يَبتسِم؛ فقد كان يفكر فيما يقوله «باسم»، ولم تكن كلمات «باسم» لمجرَّد الوصف، فقد كان يعني بها أشياء أخرى. قال بعد لحظة: نحتاج لموتوسيكل في هذا المكان. إنه يساعدنا كثيرًا.

ما إن انتهى من كلماته، حتى كان «أحمد» قد أخرج جهاز الإرسال الصغير، وأرسل رسالة سريعة إلى عميل رقم «صفر» تحمل نفس المعنى.

في نفس الوقت قال لـ «باسم»: راقب السيارة جيدًا. إنها يُمكن أن تكون البداية.

ابتسم «باسم» وهو يُراقب السيارة، ويقول: إنَّها تتجه إلى الشمال الشرقي بزاوية ٤٥ درجة.

في نفس الوقت، ابتسم الشياطين؛ فقد فهموا ماذا كان يعني «باسم».

قال «أحمد»: إنَّهم يتَّجهون ناحية نهر «جواديانا» وهذه مسألة منطقية.

صمت الجميع، ولم يكن يُسمع في هذه اللحظة سوى صوت صهيل الخيول. قطع الصمت صوتُ «فهد»: إنَّ «سهم» لا يبدو بين الخيول، وهذا قد يؤكد ما يفكر فيه «باسم».

قال «باسم»: لقد اختفت السيارة.

استغرق الشياطين في حالة من التأمل، لحركة الخيول. ومضى الوقت بطيئًا. إلا أنَّ صوتًا قطع الصمت، وجعل الشياطين يلتفتون في اتجاهه. بعد لحظات، ظهر موتوسيكل أخضر اللون، يقترب في سرعة. نظر «أحمد»، ثم رفع يده مشيرًا إلى الموتوسيكل الذي كان يقترب. وفي لحظات كان يقف أمامهم. كان يقوده شاب في مقتبل العمر. ابتسم وهو ينزل عنه قائلًا: هل هناك شيء آخر؟

شكره «أحمد» وهو يقول: هل هناك وسيلة للعودة؟

قال الشاب: هذه مسألة سهلة؛ فهناك سيارة تمر كل ساعة تقريبًا.

انصرَف الشاب. بينما ظلَّ الشياطين يُراقبونه، وهو يقطع الطريق بين الزرع في رشاقة حتى اختفى.

قال «أحمد»: سوف أنطلق أنا و«باسم». وعليكم بالمراقبة.

ما إن انتهى من كلماته حتى قفَز فوق الموتوسيكل، فقفز «باسم» خلفه، وانطلَقا في نفس الاتجاه الذي اتجهت إليه السيارة النصف نقل، فلم يكن الطريق صعبًا. ولذلك، فقد كانت سرعتهم عالية. لكن فجأة، توقَّف «أحمد»، فقد تقاطعت الطرق. كان هناك أكثر من طريق.

قال «باسم»: إنَّ انطلاقنا في خط مستقيم، أقرب إلى الصحة؛ ذلك أن نهر «جواديانا» يكون أمامنا مباشرة.

انتظر «أحمد» لحظة، ثم قال: ليس من الضروري أن تكون السيارة قد اتجهت إلى النهر. ربما تكون قد اتجهت اتجاهًا آخر!

رد «باسم» بسرعة: إذن، نجرب. المهم أنَّ السيارة قد دخلت هذه المنطقة.

انطلق «أحمد» في الطريق المستقيم. انقضَت نصف ساعة، ثم فجأة، انتهى الطريق المرصوف. توقف «أحمد» يفكر: هل يُمكن أن تكون السيارة قد مرَّت في هذا الطريق؟

أخذ الاثنان يتفحصان الطريق. مرَّت لحظة، ثم قفز «باسم» من فوق الموتوسيكل، وانحنى على الطريق المغطى بحجارة بيضاء. لم يكن هناك أثر محدَّد يمكن أن يكشف مرور سيارة فوقه. استدار إلى «أحمد» قائلًا: أعتقد أن هذا الطريق هو طريقنا.

سأله «أحمد»: لماذا؟

أجاب: يبدو أنه طريق مقصود، حتى لا يدخله إلا الذين لهم اتصال به.

فكر «أحمد» قليلًا ... كانت تبدو وجهة نظر «باسم» صحيحة. ومع ذلك، فإنَّه لم يُقدم على التصرُّف. كان يخشى أن يمضي الوقت دون الوصول إلى الاتجاه الصحيح. غير أنَّ صوتًا لفت نظرهما. لقد كان صوت موتور سيارة. أخذا يُراقبان الأفق في شتى الاتجاهات، إلا أنَّ شيئًا لم يظهر. لقد كانت الأشجار مُرتفعة على جانبي الطريق، حتى إنه لا يُمكن أن يظهر شيء. مع ذلك، ظلا يتابعان الصوت، الذي كان يقترب. فجأة ظهرَت السيارة البيضاء.

قال «باسم» بسرعة: إذن، فإنَّه الطريق الآخر!

لم يمرَّ وقت طويل، حتى كانت السيارة، تقترب منهما، ثم تمر بسرعة كبيرة، وهي تُثير غبارًا كثيفًا حولهما.

فكر «أحمد» بسرعة: لماذا تتَّجه السيارة إلى هذا الاتجاه؟

في نفس الوقت، سأل «باسم»: هل تحمل السيارة شيئًا؟

قال «باسم»: لا. إنَّ صندوقها خالٍ تمامًا!

فكر «أحمد» لحظة: إذن، فلنبدأ من الطريق الآخر!

كان الغبار لا يزال يملأ المكان. قفز «باسم» خلف «أحمد» الذي غيَّر اتجاه الموتوسيكل، وانطلق إلى الطريق الآخر. رفع السُّرعة، حتى إنَّ من يراهما يُمكن أن يظن أنَّهما طائران. غير أنَّ «أحمد» اضطرَّ إلى خفض السرعة، حتى إنَّ «باسم» سأله: لماذا أبطأت؟

قال «أحمد»: إنَّ أمامنا بوابة. ويبدو أننا اتجهنا الاتجاه الصحيح.

كانت هناك بوابة بالفعل يقف عندها حارسان. توقف «أحمد» وهو يقول: لا أظن أننا نستطيع أن نصل إلى هناك بالموتوسيكل، فإن هذا قد يكشفنا.

رد «باسم»: على العكس. إنَّ ذلك قد يكون في صالحنا؛ فإما أننا مرَرنا، وإما بدأنا العمل.

هزَّ «أحمد» رأسه مُوافقًا، ثم انطلق. أخذا يقتربان من البوابة، حتى توقَّفا عندها.

عندئذٍ اقترب أحد الحارسين، وقال: إلى أين؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: أليست هذه مزرعة السيد «كاجان»؟

نظر له الحارس في دهشة، ثم نظر إلى زميله، الذي اقترب، قائلًا: ماذا هناك؟

أجاب الحارس: إنهما يسألان عن مزرعة السيد «كاجان»!

ظهرت الدهشة على وجه الحارس الآخر. وكان هذا كافيًا، ليجعل «أحمد» و«باسم» ينزلان من فوق الموتوسيكل؛ فقد فهما أنَّهما سوف يبدآن العمل. قال الحارس الأول: ولماذا تسألان؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: ينبغي أن نعرف، حتى يمكن أن نجيب!

ردَّ الحارس: فليكن!

قال «أحمد»: لا أظن أنَّ هذه إجابة كافية. إننا في مهمة خاصة بالسيد «كاجان».

صمت لحظة، ثم قال: و«السهم» أيضًا.

اتسعت عيون الحارسين، وقال الثاني: من أنتما؟ لكنَّه قبل أن يسمع الجواب كان الاثنان «أحمد» و«باسم»، قد استخدما أيديهما في الرد؛ فقد ضرب «أحمد» الحارس الأول ضربةً مفاجئةً جعلته يتراجَع بسرعة. في نفس الوقت كان «باسم» قد فعل نفس الشيء.

تابع «أحمد» الحارس، وقبل أن يستطيع تحقيق توازنه عاجله بضربة أخرى، إلا أنَّه كان من البراعة بحيث استغل دورته في ضرب «أحمد» ضربة مفاجئة، جعلت «أحمد» يطير في الهواء وقبل أن يستخدم الحارس مسدَّسه، كان «أحمد» قد توقع ذلك، فقد أخرج مسدسه قبله، وأطلق طلقة سريعة أصابت مسدَّس الحارس فطار منه. وقبل أن يفكر في أي حركة كان «أحمد» قد قفز في الهواء في اتجاهه، وضربه ضربة قوية طرحته أرضًا ولم يستطع أن يتحرَّك بعدها، فقيَّد يديه خلف ظهره، ثم ربطهما في قدميه. وسحبه إلى حيث ترتفع النباتات، فألقى به هناك. ثم عاد بسرعة ليجد معركة «باسم» لم تنتهِ بعد؛ فقد كان الحارس الثاني قويًّا تمامًا. أسرع «أحمد» في خفَّة حتى أصبح خلف الحارس، الذي أمسك بعنق «باسم» ووضح أنَّه قد بدأ يَفقد قواه، فأسرع «أحمد» مرة أخرى ولفَّ ذراعه في قوة حول الحارس، حتى بدأت يدا الحارس تنفك من حول عنق «باسم» حتى تركه، فسقط على الأرض. ودارت معركة عنيفة بين «أحمد» والحارس وقبل أن ينتهي منها فوجئ بمجموعة من الرجال قد ظهروا من خلف أحد الأبنية.

أخيرًا ... ظهر «سهم»!

أخرج «أحمد» مسدَّسه بيده الأخرى، وضرب الحارس فسقط ساكتًا.

قال «أحمد» لـ «باسم» بسرعة: استعد. إننا مقبلان على معركة كبيرة.

نظر «باسم» بسرعة، ثم هتف: إنَّها معركة غير متكافئة!

ردَّ «أحمد»: اختفِ بسرعة.

في قفزة واحدة، كان الاثنان، قد أصبحا خلف النباتات التي تقوم على جانبي المكان. وما إن استقرا، حتى كانت طلقات الرصاص تدوي في الفضاء، في نفس الاتجاه الذي سقطا فيه. إلا أنَّهما كانا يتوقعان ما حدث. ولذلك، فإنهما لم يستقرا مكانهما؛ فقد زحفا بسرعة مبتعدين عن الهدف، الذي يُطلق عليه الآخرون طلقاتهم. ولم يكن زحفهما بطيئًا كانا قد أسرعا في اتجاه مُضاد، لأنَّهما يعرفان أنَّ المهاجمين سوف يوسعون المساحة التي يطلقون عليها. وعندما ابتعدا بما يَكفي، أرسل «أحمد» رسالة إلى الشياطين. كانت رسالة شفرية: «١ – ٢٥ – ١٥ – ٢٤ – ٢٦ – ١» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٧» وقفة، «٢٢» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٤ – ١٨ – ١٠ – ٢٢ – ٢٧» وقفة، «٢ – ٨ – ١ – ٣» انتهى ... وكانت ترجمة الرسالة: «انضموا إلى النقطة «ك» المعركة بدأت.»

توقف «أحمد» و«باسم»، وألقيا نظرة في اتجاه المزرعة. قال «باسم»: هذه طبعًا مزرعة سرية.

ردَّ «أحمد»: بالتأكيد. ولا بدَّ أن «كاجان» يمارس فيها هواياته غير المشروعة.

كان صوت الطلقات قد تناقَص. حتى توقف، فقال «أحمد»: إنَّ ضربتنا لا بد أن تكون سريعة. فلو تأخَّر الوقت، فإن «سهم» قد يُفلت منَّا.

أكمل «باسم»: أيضًا. لا بدَّ أن أنباء سوف تخرج من هنا، إلى «كاجان» في مزرعته الكبرى. وهذا يؤكد، ضرورة أن نضرب ضربتنا، قبل أن تتعقد الأمور.

قال «أحمد» بعد قليل: أظن أنَّهم لن يلجئوا إلى «كاجان» الآن. فسوف لن يكشفوا ضعفهم بسرعة، إلا إذا فقدوا الأمل.

سكت لحظة، ثم أضاف: سوف يُفضلون القبض علينا وتقديمنا لـ «كاجان»، حتى يُثبتوا أنهم قادرون على حماية أعماله.

قال «باسم»: هذه وجهة نظر صحيحة. والمهم الآن، أن نصل إلى «سهم».

تحرَّكا من جديد، وهما يوسعان دائرة تحركهما، حتى يكونا في أمان. كانت وجهتهم مباني المزرعة، التي كانت تتركَّز في مُنتصفِها. اقتربا من شجرة ضخمة، فقال «باسم»: سوف أصعد لأكشف المكان جيدًا.

وفي خفَّة تسلَّق ساق الشجرة، حتى توقف بين أغصانها، وعن طريق جهاز الإرسال الذي يَحمله كان يتحدَّث إلى «أحمد»، حتى لا يرتفع صوته. فربما كانت هناك أجهزة تنصُّت أيضًا؛ فالموجة التي يُرسل عليها إلى «أحمد» موجة سرية، لا يَعرفها سوى الشياطين.

أرسل إلى «أحمد» يقول: إنَّ مجموعة الرجال تُشكل دائرة واسعة في نفس المنطقة هنا، فهم ما زالوا يبحثون عنا، وهذا يعطينا فرصة طيبة للتحرك.

صمت لحظة، ثم قال: مباني المزرعة قليلة. وهي لا تتجاوز ثلاثة مبان، موزعة في شكل حرف «ل» الضلع الأكبر فيه مبنيان، والضلع الأصغر فيه مبنًى واحد. لا يوجد أيُّ أثر لخيول، أو حيوانات حتى على مدى البصر، المزرعة تمتدُّ امتدادًا كبيرًا، لكنَّها واضِحة أمامي تمامًا، اقترح الآن، أن نتَّجه إلى المباني. فالمؤكَّد أننا سوف نجد ضالتنا داخلها، خصوصًا وأنَّ الرجال مشغولون بالبحث عنَّا في مكان آخر. لحظة، ثم استقبل رسالة من «أحمد» تقول: «انزل. سوف نُنفذ اقتراحك.»

في رشاقة ترَك نفسَه مُنزلِقًا حتى أصبح بجوار «أحمد». وفي سرعة، تحرك الاثنان في اتجاه المباني، اقتربا من نهاية الزرع. وأصبح عليهما أن يقطعا الأرض المكشوفة، إلى حيث الهدف. لكن الأرض المكشوفة كانت متسعة، بما يكفي لأن تكشفَهما.

قال «أحمد»: ينبغي أن نلجأ إلى التمويه، حتى لا نَلفت نظر أحد.

بسرعة، كان كلٌّ منهما ينتزع نباتًا محملًا بالأغصان، ثم يحمله، مختفيًا داخل هذه الأغصان. تقدَّما في بطء. كان «أحمد» يخطو عدة خطوات ثم يتوقَّف، فيتقدَّم «باسم» حتى يتجاوَزه ثم يتوقف، ليتحرك «أحمد» من جديد. وهكذا، ظلا يتبادَلان التحرك، حتى قطعا نصف المسافة.

قال «أحمد»: إننا هكذا مكشوفان في الأرض الخالية.

ردَّ «باسم»: إنَّنا أقل ظهورًا مما لو تحركنا بمفردنا.

قال «أحمد»: يجب أن نسرع، قبل أن نلفت النظر.

تحرك الاثنان بسرعة، حتى أصبحا قريبين من المباني، وحيث تبدأ النباتات مرة أخرى. لكن فجأة، دوى صوت طلقات الرصاص فوقهما. غير أنَّهما كانا أسرع إلى النباتات فقد قفزا قفزة واسعة، واستقرا داخل النبات. ناما منبطحين على الأرض، فهمس «باسم»: لقد انكشفنا مرة أخرى.

قال «أحمد»: لا بأس. من الضروري أن نَنكشِف، وأن نواجههم.

قال «باسم»: أقترح أن نُؤجِّل لحظة الصدام، حتى يصل الشياطين.

وكأن الشياطين كانوا يسمعون حوارهم. فقد وصلت رسالة من الشياطين تقول: نحن داخل المزرعة الآن. تجاوزنا النقطة «ك». نحن في المنطقة «ق»!

ابتسم «أحمد» وهو ينقل الرسالة إلى «باسم» الذي ابتسم هو الآخر، وهو يهمس: إنَّ الشياطين معًا دائمًا.

كان صوت الطلقات لا يزال يدوي، فقال «أحمد»: لا بدَّ أن هؤلاء مجموعة أخرى؛ فالمجموعة الأولى لا تزال بعيدة.

زحفا بسرعة في اتجاه المباني. في نفس اللحظة، سمعا صوت سيارة تقترب. ارتفع «أحمد» برأسه قليلًا، ثم هتف بصوت خافت: سهم.

تساءل «باسم»: ماذا هناك؟

قال «أحمد»: لقد عادت السيارة البيضاء، وهي تحمل «سهم».

ابتسم «باسم» وهو يقول: لو أنَّها تأخَّرت بعض الوقت لكنا فقدنا الأمل.

كانت السيارة تقترب من المباني، حتى توقفت بعيدة عنها. ارتفع صهيل «سهم»، فقال «باسم»: إنَّ صوته كالنغم بالنسبة لي.

كان «أحمد» لا يزال يراقب الموقف، وهو مختف بين النباتات. ولم يكن يظهر منهما أي شيء. فجأة وصلت رسالة من الشياطين: هل تَحدَّد موعد الصدام؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: انتظروا بعض الوقت. الإشارة لمبة إضاءة.

وقف «باسم» في مكان مرتفع أيضًا، وبدأ يراقب. فجأة تحرَّكت السيارة البيضاء، في طريقها إلى مغادرة المزرعة.

أرسل «أحمد» رسالة سريعة إلى الشياطين: لا تدعوا السيارة تمر؛ فأنتم أقرب إليها.

اقتربت السيارة من البوابة. لكن فجأة، دوت طلقة رصاص ثم تبعها صوت انفجار. فقال «باسم»: لقد أصاب الشياطين الهدف.

ارتفع صوت «سهم»، وبدأت أقدامه تضرب صندوق السيارة. فقال «أحمد»: إنَّ سهم قد يصاب بهذه الطريقة. يجب إنزاله من السيارة.

ولم يكد ينتهي من كلماته، حتى كان «سهم» يقفز من السيارة فعلًا.

قال «باسم»: لقد تصرفوا بطريقة صحيحة!

قال «أحمد»: ينبغي أن يبتعد عن المكان، وإلا فقد يصاب بطلق ناري.

جاءت رسالة من الشياطين: هل نبدأ؟

رد «أحمد»: ليس الآن، حتى لا يصاب «سهم».

كان الرجال يأخذون «سهم» بعيدًا عن المكان، في اتجاه أحد الأبنية، بينما ظل الشياطين يراقبون الحركة، حتى دخل «سهم»، المبنى المنفرد.

همس «باسم»: لقد حقَّقوا ما نريد بالضبط. إن معركة الرجال، ليست شيئًا صعبًا.

أشار له «أحمد»: سوف نتحرَّك.

أرسل رسالة سريعة إلى بقية الشياطين: الاتجاه النقطة «س»!

تحرَّك هو و«باسم» في اتجاه المبنى المنفرد. في نفس الوقت، كانا يعرفان أنَّ الشياطين يتَّجهون نفس الاتجاه. اقتربا من المبنى تمامًا، كان الرجال يقتربون هم الآخرون من نفس المكان، في شبه دائرة كاملة.

قال «أحمد»: هذه فرصتنا. إنَّهم أوقعوا أنفسهم في خطأ قاتل؛ فهم الآن في شبه دائرة وهذا يعني، أنهم لا يستطيعون إطلاق النار. لأنهم سوف يصيبون أنفسهم. هذه فرصتنا.

أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين: إطلاق الرصاص يبدأ بعد الصفارة. لحظة، ثم ضغط زرًّا في جهاز الإرسال الصغير، فأصدر صفارة هادئة. في نفس اللحظة، كان الشياطين جميعًا قد فتحوا النار على رجال المزرعة. وردَّ الآخرون بإطلاق الرصاص. لكن فجأة، صاح أحدهم: أوقفوا النيران. إنكم تُصيبوننا!

توقف رجال المزرعة عن إطلاق الرصاص، في الوقت الذي قال فيه «أحمد»: استمر في إطلاق الرصاص. ثم قدم له مسدسه، وهو يقول: أطلق الاثنين معًا، حتى لا يلفت انسحابي نظر أحد. سوف أتجه إلى مبنى «سهم»؛ فهذه فرصتنا وهم مشغولون بنا.

بدأ «باسم» يطلق المسدسين معًا. كان يطلق من مكان ثم يقفز ليطلق من مكان مختلف، حتى لا يعطي فرصة لأحد، كي يعرف العدد. في نفس الوقت كان «أحمد» قد اتَّجه إلى مبنى «سهم». قفز قفزة واسعة، فأصبح يقف أمام بوابة حديدية، مُغلقة تمامًا. حاول أن يبحث عن مكان القفل لكنه لم يجده. أخرج بسرعة جهاز الأشعة الصغير، ثم

سلَّطه على البوابة، وضغط زرًا فيه. انطلقت الأشعة حتى اصطدمت بالبوابة، التي فتحت بعد لحظة. قفز إلى الدخل. كانت هناك مساحة واسعة، ثم سرداب مضاء بإضاءة خافتة. أسرع يقطع المساحة في حذر، وهو ينظر حواليه، ثم اندفع إلى داخل السرداب. كان يبدو مرتفعًا جدًّا. فكَّر لحظة، ثم قال: إنَّه يكفي لأن يجري «سهم» فيه، حتى نهايته ... أسرع يجري بسرعة. فجأة، ظهرت بوابة أخرى. توقف عندها، وكما فعل مع الأولى فعل مع الثانية. أخرج جهاز الأشعة، ثم سلَّطه عليها. انفتحت بعد لحظة وتقدم في حذر؛ فقد كان يفكر: ربما تكون هناك حراسة عند كل بوابة. لكن أحدًا لم يظهر. أسرع أكثر. كانت نسبة الضوء قد بدأت تزداد. شعر ببعض الهواء، فقال في نفسه: لا بدَّ أنني اقتربت من النهاية. ركَّز سمعه واستمع. تخيل أنَّ هناك أصوات طيور، أو صهيل حصان. ثم تشمَّم رائحة زروع. فجأة، أظلمت الدنيا حوله، وانقطع الهواء والأصوات. قال في نفسه: لا بد أنَّ هناك بوابة أغلقت، ولا بد أنَّها البوابة الأخيرة. أخرج بطارية صغيرة من جيبه، ثم أضاءها، وتقدم كان يصطدم بالحائط، فقد انحرف السرداب فجأة. انحرف معه، ثم ركَّز ضوء البطارية أمامه. كان الظلام لا يزال كثيفًا. تقدم أكثر، ثم سدد الضوء إلى الأمام. فوقع على حديد البوابة. أسرع حتى اقترب. فكَّر لحظة: هل أفتح البوابة الآن؟ أو أنتظر بعض الوقت؟

انتظر قليلًا، لكنه خشيَ أن يمر الوقت، ويختفي «سهم»، أسرع بجهاز الأشعة، وفتح الباب. فجأة غمر الضوء عينيه، حتى إنَّه اضطر إلى وضع يديه فوق عينيه. فقد كان ضوء النهار قويًّا. وقبل أن يرفع يديه، بعد أن بدأت عينيه تألفان الضوء، رنت طلقة بجواره، جعلتْه يَنبطح على الأرض. إلا أنَّ الطلقة لم تكن الوحيدة؛ فقد توالت بعدها الطلقات.

المعركة الحاسمة!

ألقى نفسه منبطحًا على الأرض، وهو يتدحرج بعيدًا عن مرمى الطلقات. كان يفكر في نفس الوقت: كيف يمكن الخروج من هنا. إنَّ الوقت أصبح ثمينًا جدًا الآن. فـ «سهم» يمكن أن يختفي في هذه اللحظة!

لم يكن أمامه أي طريق للخروج؛ فقد كانت طلقات الرصاص ما تزال تدوي عند فتحة السرداب. بعد لحظة، أرسل إلى الشياطين: «١ – ٣ – ٥ – ٢٧ – ٢٦ – ١» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٧» وقفة، «٢٥» وقفة، «١ – ١٣ – ٣ – ٢ – ٢٢ – ٢٦ –١» وقفة، «١٢ – ٢٧ –٢٤» وقفة، «٢٠ – ٢٩» وقفة، «٢٥ – ٢٠ – ٢» وقفة، «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٧» انتهى.

وكانت ترجمة الرسالة: «اتَّجِهوا إلى النقطة «ن». اشتبِكوا. «سهم» في نفس النقطة.» انتظر قليلًا، ثم جاءه الرد: «تحرَّكنا إلى هناك. الاشتباك بعد «م»!»

زحف مقتربًا من فتحة السرداب. كانت الطلقات قد هدأت قليلًا، لكنها كانت تتردَّد بين كل لحظة وأخرى. عندما أصبح عند الفتحة تمامًا، أخرج مسدسه، ثم ألصق ظهره بالحائط، وأطلق طلقة واحدة، ما كادَت الطلقة ترن، حتى توالت الطلقات في اتجاهه. فكَّر: من الضروري، أن أشتبك معهم، حتى أُعطيَ فرصة للشياطين، كي يقتربوا بسرعة. بدأ في إطلاق النار. في نفس الوقت كان يفكر في خدعة، أخرج قنبلة دخان، ثم دحرجها بعيدًا بين النباتات التي تلي فتحة السرداب. قال في نفسه: يمكن أن أزحف تحت ستار الدخان، وأختفي في النباتات. انتظر قليلًا وهو يراقب الخارج. لحظة، ثم بدأ الدخان ينتشر. قال في نفسه مرة أخرى: إنَّ عدة قنابل دخانية، يمكن أن تثير الرعب في نفوسهم.

بسرعة أخرج ثلاث قنابل، ثم دحرجها كل واحدة في اتجاه. بدأ الدخان، يزداد، وينتشر، حتى كوَّن ستارًا كثيفًا. زحف في حذر إلى الخارج. كان صوت الطلقات متجهًا إلى

اتجاه آخر، حيث كانت القنابل الدخانية تفعل فعلها. سمع صوت صهيل حصان، فقال في نفسِه: ربما يكون صوت «سهم». في نفس الوقت، تردد صوت سيارة. فكر «أحمد» لحظة: قد تكون هذه السيارة لنَقلِ «سهم» من المكان. غير أنَّه فكر في نفس الوقت، وكأنَّه يردُّ على نفسه: إنَّ الشياطين سوف يُراقبون هذا جيدًا.

ولهذا أرسل رسالة إليهم: أين أنتم الآن؟

جاءه الرد بسرعة: إننا نقترب من النقطة «ن» ونرقب كل شيء.

تحرك من مكانه، متجهًا إلى النهر. كانت النباتات كثيفة في هذا المكان، حتى إنَّ تحركه، أصبح صعبًا. فكَّر لحظة: هل يَشتبك معهم، حتى يُعطِّل تحرك «سهم». أو أنَّ هذا يُمكن أن يجعلهم يُعجِّلون بعملية تهريبه. قرَّر في النهاية، ألا يَشتبك. لكنه سمع صوت موتور يدور. استمع قليلًا، ثم قال: إنَّه موتور «اللنش». هل ينقلون «سهم» بواسطة «اللنش» إلى مكان آخر؟

في نفس الوقت، تردَّد صوت صهيل حصان ... وقبل أن يُقرِّر شيئًا، كان صوت الطلقات قد بدأ. وقف وهو يركز سمعه، ثم ابتسم. لقد كانت هذه طلقات الشياطين. كان قد تجاوز منطقة الدخان، وأصبح قادرًا على الرؤية. ألقى بصره في اتجاه النهر، حيث كان صوت «اللنش» لا يزال يتردَّد، فرأى «سهم». كان أحد الرجال يجره بسرعة، في اتجاه النهر. في الوقت الذي اشتبك فيه آخرون مع الشياطين.

كانت هذه فرصته. قفز قفزة واسعة، قطع بها حوضًا من النباتات. كان النهر قد أصبح قريبًا منه وأصبح الرجل، و«سهم» أمامه مباشرة. تقدم في خفة. حتى أصبح على مرمى حجر، من الرجل. تقدم أكثر، حتى أوشك أن يصل إلى ضفة النهر. انتظر قليلًا؛ فقد كان الرجل يتراجَع بظهره، ووجهه في اتجاه «أحمد». فكَّر: هل يُصيبه بطلق ناري؟ إلا أنَّه لم يفعل؛ لأنَّ ذلك سوف يلفت نظر الآخرين. دار دورة سريعة، حتى أصبح في جانب الرجل، أمسك قطعة من الطين الجاف، ثم قذفها في ساق «سهم». صهل الحصان في ذعر، وشب على قدميه الخلفيتَين، حتى إنَّه كاد يفلت من الرجل، إلا أنَّ الرجل تشبث باللجام.

انتهز «أحمد» الفرصة، فهو يعرف الآن، أنَّ الرجل يركز كل قوته وانتباهه في «سهم». قفز قفزة واسعة، فسقط على الرجل، الذي لم يكن قد انتبه له، كما قدَّر تمامًا. وقع الرجل على الأرض، وقبل أن يُفكِّر في أي حركة يقوم بها، كان «أحمد» قد وقف فوق رأسه تمامًا. نظر الرجل في دهشة، إلا أنَّ شيئًا ثقيلًا، سقط فوق «أحمد»، فنزل به إلى الأرض، إلا أنَّه كان أسرع فكرًا، فقد تدحرج، وهو يُلقي نظرة سريعة، ليرى رجلًا ضخمًا قد سقط مكانه.

في نفس الوقت الذي كان فيه الآخر قد أخرَج مسدَّسه، وقبل أن يضغط الزناد كانت طلقة قد استقرت في فوهة مسدَّسه فانفجر. لقد كانت الطلقة صادرة من مسدس «خالد» الذي كان قد اقترب.

قفز «أحمد» في سرعة، في الوقت الذي كان فيه العملاق الضخم قد استعاد نفسه. إلا أنَّ هذه لم تكن هي المُشكلة، إنَّ «سهم» قد انطلق في فزع، يَجري بلا هدف. فكَّر «أحمد» وهو يقف قريبًا من العملاق، في حالة تحفُّز: إنَّ «سهم» لن يَغيب في النهاية؛ فهو محكوم بسُور المزرعة. ولن يُفلت من الشياطين. صرخ العملاق، صرخة قوية مدوية، ليثير الفزع في نفس «أحمد» إلا أنَّ «أحمد» ابتسم، وهو يقفز في اتجاهٍ مخالف لاتِّجاه العملاق. حتى إنَّ الرجل ارتبك للحركة. فهو لم يَفهم لماذا فعل «أحمد» ذلك. غير أنَّه فهم متأخِّرًا.

فقبل أن تنتهي قفزة «أحمد» البعيدة عنه، كانت قفزة أخرى قد بدأت، لتصطدم قدما «أحمد» بالعملاق في قوة جعلتْه يسقط بعيدًا، تابعه «أحمد» بسرعة، ثم سدَّد له لكمة قوية. شعر «أحمد» بعدها أن يده تؤلمه، فعرف أنَّه أمام خصم قوي. ألقى نظرة سريعة في اتجاه «خالد» فرآه مشتبكًا مع آخر. كان «خالد» في هذه اللحظة يُسدِّد يمينًا خطافية إلى خصمه، فجعله يطير في الهواء.

كان العملاق قد ترنَّح نتيجة قبضة «أحمد»، إلا أنَّه عاد في غضب، وهو يحاول أن يمسك بالشيطان الرشيق. مدَّ «أحمد» يده إليه، فقبض عليها العملاق في وحشية، وجذب «أحمد» في عنف. غير أنَّ «أحمد» استغل اندفاعه في اتجاه العملاق، فطار كالسهم، وارتطم بصدره فاهتز، ثم سقط على الأرض. وفي لمح البصر كان «أحمد» يقفز في اتجاهه، ثم يُسدِّد إليه سيلًا من اللكمات المُتتالية، حتى فقد الرجل وعيه. وفي سرعة كان يشدُّ وثاقه. وعندما انتهى منه ألقى نظرة سريعة على المكان. كان الشياطين يشتبكون في معركة، يبدو الانتصار فيها لهم.

بحث بعينيه في الأفق، فرأى «سهم» يقف هناك. نظر حوله. كان هناك حصان يقف تحت شجرة. أسرع إليه، وفي خفَّة، قفز في الهواء، فاستقرَّ فوق الحصان الذي أصابه الفزع، فأخذ يدور حول نفسه، حتى خشيَ «أحمد» أن يسقط، إلا أنَّه انحنى فوق رقبة الحصان والتصق به تمامًا. ظلَّ هكذا، حتى هدأ الحصان، فأخذ يربت عليه. ثم انطلق به إلى حيث يقف «سهم».

كان «أحمد» مُلتصِقًا بجسم الحصان، حتى لا يظهر لأحد. وكان الحصان يجري في سرعة مُذهِلة، وهو يَقفِز من فوق الأشجار الصغيرة التي تملأ المكان. رفع «أحمد» وجهه،

ونظر في اتجاه «سهم»، الذي كان يقف، وقد رفع وجهه إلى السماء في كبرياء. كان يبدو جميلًا تمامًا، حتى إنَّ «أحمد» ابتسم. لقد كان يشعر بالسَّعادة، ها هو الحصان العربي سوف يعود إلى صاحبه. غير أنَّه فجأةً كاد يلقي بنفسه من فوق الحصان؛ فقد اندفع الحصان بقوة غريبة في اتجاه شجرة ضخمة، وفي لمح البصر، قفز «أحمد» قبل أن يصل الحصان إليها، وتعلَّق بأحد أغصانها، وفكر بسرعة: هل يكون هذا الحصان مُدربًا؟ إنَّ الحصان لم يصطدم بالشجرة؛ فقد مرَّ بجوارها، بما يكفي لأن يتحطم من يكون فوقه.

وفي حركة رشيقة، استقر «أحمد» فوق الغصن. ألقى نظرة سريعة في اتجاه «سهم»، الذي كان لا يزال يقف مكانه. في نفس الوقت الذي كان الحصان الآخر يتَّجه إليه ظلَّ «أحمد» يرقب اندفاع الحصان إلى «سهم»، وقال في نفسه: يبدو أنَّه حصان شرس، وقد يُصيب «سهم» إصابة تجعله يفقد قيمته. قفز من فوق الشجرة، لكنَّه فجأة رأى ما لم يَخطر له على بال؛ لقد كان الحصان الآخر يقود «سهم» في اتجاه النهر. كان المشهد غريبًا. وقال «أحمد» في نفسه: المؤكَّد أنَّه حصان مدرب على أعمال خاصة.

ظلَّ في مكانه يرقب حركة الحصانين. وعندما تحرَّك، كان الاثنان يقتربان منه. فجأةً لمح عن بُعدٍ حصانًا يقترب في سرعة. ركَّز نظرَه جيدًا، فرأى رجلًا فوق الحصان، يَركبه بطريقة تجعله لا يظهر جيدًا، فكَّر بسرعة: لا بد من اصطياده.

نظر حوله، كان «سهم» والحصان الآخر يقتربان أكثر، بينما كانت شجرة صغيرة تقف في المنتصف بينهما. قال في نفسه: لو أنَّ الحصانين استمرا في طريقهما، فإنَّ فرصتَنا تكون جيدة.

تقدم في اتجاه الشجرة، حتى وقف بجوارها. كانت تَرتفِع مساوية له تمامًا. حتى إنَّه يُمكِن أن يَختفي خلفها. تحفز في وقفته، لكن فجأة، غيَّر «سهم» طريقه، وانطلق يجري مُبتعِدًا، وكأنَّه يعرف أنَّ هناك من جاء له. نظر في اتجاه الرجل القادم. كان يجري بسرعة. قدَّر المسافة، وقدَّر اتجاه الرجل أيضًا، ثم انتظر. فكَّر: إنَّه بالتأكيد سوف يكون قريبًا مني، لكني مع ذلك، لا بد أن أحسب حساباتي.

اقترب الرجل أكثر. تحفز «أحمد»، وعندما كان الآخر يمرُّ بجواره منطلقًا بالحصان، كان «أحمد» يَقفز قفزة قوية، ليتعلق برقبة الرجل، ثم يأخذه ويسقطان معًا. وفي سرعة، كان «أحمد» قد قفز واقفًا. في نفس اللحظة التي كان فيها الآخر يُخرج مسدسه، قفز «أحمد» إليه، وسدد له ضربة قوية، جعلت المسدَّس يطير من يده في الهواء. نظر له الرجل في غضب، إلا أنَّ ضربة أخرى من «أحمد» أخذت طريقها إلى الرجل الذي تدحرج مبتعدًا، قبل أن تُصيبه ضربات «أحمد».

أسرع إليه «أحمد» قبل أن يستقر، ثم جذبه في قوة، وضربه ضربة جعلته يتراجع، ثم يسقط على الأرض. تابعه بمجموعة من القبضات السريعة، حتى إنَّ الرجل لم يَستطِع أن يفعل شيئًا. فرفع يدَيه مُستسلمًا. وفي لمح البصر، كان قد لوى ذراعَيه خلفه، ثم ربطهما في قوة.

ثم مدَّ الحبل إلى قدميه، فربطهما أيضًا، وعندما رقد الرجل على الأرض، كان حصانه يقف بعيدًا عن المكان، يرعى العشب.

اقترب «أحمد» منه ولاطفه، ثم أخذ يربت عليه، ويداعب شعره، ثم امتطاه في سهولة.

نظر حوله، كان الحصان الآخر قد قاد «سهم» في اتجاه النهار، واقترَبا منه. لكز الحصان بقدمه، فانطلق به. وعندما اقترب، كان الشياطين قد أنهوا معركتَهم. رفع «رشيد» يده مشيرًا إلى «أحمد»، الذي كان يتَّجه إلى «سهم».

في نفس اللحظة، كان صوت عدد من السيارات يَقترب. ألقى الشياطين نظرة في اتجاه الأصوات. وهمس «فهد»: إنَّها معركة أخرى في الطريق.

وبسرعة كان «فهد» يرسل رسالة إلى رقم «صفر». في نفس الوقت، كان «باسم» يراقب اتجاه «أحمد»، الذي كان قد اقترب تمامًا من «سهم». قفز «أحمد» من فوق الحصان، نظر له «سهم» نظرة مستقيمة، ثم ضرب الأرض بقدميه، وكأن هناك لغة مشتركة بينهما. ابتسم «أحمد»، لقد كان «سهم» جميلًا إلى الدرجة التي تأسر العين. مدَّ «أحمد» يده إليه، فمدَّ «سهم» رأسه إلى يد «أحمد»، وكأنَّه يبحث عن شيء فيها.

سمع «أحمد» صرخة مُدوية تنادي: «أحمد»!

نظر بسرعة في اتجاه الصوت، كان «رشيد» هو الذي يصرخ. في نفس اللحظة وقعت عيناه على رجل يسدد طلقة من بندقية، في مكان مرتفع. قفز «أحمد» في قوة، وهو يدفع «سهم» بعيدًا، فدوت الطلقة قريبة منهما، غير أنَّ طلقة أخرى كانت قد خرجت من مسدس «باسم» لتُسقط البندقية من يد الرجل. فجأة، تحول المكان إلى حصار كامل. لقد ظهر «كاجان». وقعت أعين الشياطين عليه، ومن حوله مجموعة كبيرة من الرجال المسلحين، وكأنَّه جيش في حالة حرب.

فكَّر «أحمد» بسرعة: إنَّ المهم الآن ألا يُصاب «سهم». نظر حوله بسرعة، كانت هناك مجموعة من الأشجار المتفرِّقة، لا تبعد كثيرًا. فكَّر فيها بسرعة ... وفي حركة رشيقة، تعلَّق تحت بطن «سهم» وأمسك برقبته ... ثم ربت على صدره، فأطاع الحصان، وكأنَّه يفهم ما يريده «أحمد».

ارتفع صوت «كاجان» يقول: استسلموا، بدلًا من أن نضطرَّ إلى الخلاص منكم!

لكنه قبل أن يضيف كلمة أخرى، كانت أصوات طائرات تتردَّد في الفضاء. رفع «أحمد» عينيه إلى السماء، وفكر: لا بد أنَّ الشياطين قد تصرَّفوا.

كان «سهم» قد وصل إلى شجرة ضخمة. نزل «أحمد» ثم أخذه، وقف به خلفها بعد أن أخرج مسدَّسه انتظارًا لأي حركة، يُمكن أن تؤذي «سهم».

تردد صوت في الفضاء: على السيد «كاجان» ألا يفعل شيئًا!

ولم تمض دقائق، حتى نزلت أربع طائرات هليوكوبتر في أرض المزرعة. وضع «أحمد» يده على رقبة «سهم» ثم قبَّله ومشى أمامه، فتبعه «سهم» في طاعة، في نفس اللحظة التي اقترب فيها الشياطين منهما. تحلَّقوا حول «سهم»، الذي كان يقف بينهم في هدوء، ومن بعيد شاهدوا «كاجان» والشرطة تقبض عليه، ومعه عصابته كلها. في نفس اللحظة التي جاءت فيها رسالة من رقم «صفر» تُهنئهم بنجاح المغامرة، وتتمنى لهم وقتًا طيبًا قبل العودة إلى المقر السري.

هنـــداوي